

## الفصل الثالث:

# السجينة

### عن الصدمة

### والخدعة

### والسجن الإجباري

لم تدر بي ناريا كم دامت بها الغيبوبة التي خلفتها صدمة عمرها.. لكن عندما عاد إليها الاحساس بما حولها كان أول ما شعرت به هو البرودة في جسدها وقسوة الفراش تحتها.. هبّت جالسة مما أثار الدوار في رأسها فأمسكت بيديها وهي تفتح عينيها ناظرة لما حولها بصعوبة.. كانت الإنارة خافتة في الغرفة الصغيرة الموحشة.. جدرانها مطلية بلون قاتم يزيد المكان كآبة.. والمكان خالٍ إلا من سريرٍ قاسٍ فوقه لحاف خشن مهترئ، ما إن رآته حتى هبّت واقفة باشمئزاز.. ودارت بعينيها في الغرفة المقرفة بالنسبة لها وهي التي لم تر من الغرف إلا أفضلها وأجملها وأوسعها..

تنامى الغضب أكثر وأكثر في صدرها وهي تستعيد ما حدث منذ دخول مانيم مع الرجل الغريب إلى قاعة العرش حتى نهوضها في هذا المكان.. وبخطوات حانقة أسرع إلى باب الغرفة وطرقته بقوة صائحة "افتحوا الباب.. لا يمكنكم فعل هذا بي.. ليس أنا.. ليس بي ناريا.."

لم يستجب لها أحد وهي تطرق بيديها الاثنتين وصراخها يزداد "ستنالون العقاب إن لم تخرجوني.. أيها الحراس.. اخرجوني وإلا كانت غضبتي عليكم عظيمة"

فُتحت فتحة صغيرة في الباب يطل منها أحد الحراس وهو يقول "اهدئي يا امرأة.. الصراخ سيضرّ حنجرتك بلا فائدة.."

صرخت في وجهه "امرأة؟ أنا مولاتك أيها الحقيير.. أخرجني وإلا أمرت بقطع رأسك مع أول خطوة أخطوها من هذا الباب"

قال الحارس بدون انفعال "لا داعي للصراخ.. إنها أوامر الملك مانيم.."

فوجئ بها تدفع يدها من الفتحة محاولة الإمساك به وهي تصيح "تباً لك.. أتجروا على تسميته بالملك؟ هذا التافه يصبح ملكاً ويرميني أنا في السجن؟"

ابتعد الحارس عن الفتحة وهو يقول متوتراً "الكل في القصر أصبح يعرف بأمرك وأمر تزييف الملك السابق لحقيقتك.. لا نستطيع تجاهل أوامر مانيم مع كل الإثباتات على أحقيته بالعرش"

ثم أغلق الفتحة ليتركها في الظلام وهي تصرخ راکلة الباب "كلا.. هذا غير صحيح.. تلك لعبة من الأعبه.. كان دائماً يطمح للعرش وهو بارع في الأكاذيب"

وتهاوت على الأرض ودموعها تجري على خديها وكلماتها تخرج من بين نشيجها "كان دائماً يلهث خلفي ويحاول كسب رضاي.. إنه يكذب.. سيعود ذليلاً إليّ من جديد وعندها سأرفسه.. لن أرحمه أبداً"

تدافعت دموعها بغزارة وهي تنظر حولها في تيهٍ قائلة "انا لا أستحق هذا.. لم أفعل شيئاً في حياتي لأستحق هذا.. لماذا يا أبي.. لماذا مت وتركتني الآن.. لماذا كذبت عليّ؟"

وأغرقت في نشيجٍ مريّر وهي تسند ظهرها إلى الحائط دافئة رأسها بين ركبتيها مرددة بدون ملل "لماذا يا أبي.. لماذا يا أبي.. لماذا؟"

\*\*\*\*\*

انتشر الخبر كالنار في الهشيم في أرجاء القصر.. تهامس الحراس به وتسارّت الوصيفات بتفاصيله تزيد وتنقص حسب ناقل الخبر.. وبين فينة وأخرى يتجمع بعض منهم حول الحراس الذين شهدوا الواقعة مستوثقين من أحداثها لا تكاد كلمة تفوتهم وهم بين متعجب وشامت..

ورغم لهفة سكان القصر لمعرفة ما لهذا الحدث من تبعات عليهم، إلا أن الوزراء ظلوا عازفين عن التعليق وهم يسيرون في ممرات القصر رغم ملامحهم الذاهلة.. فقبل مدة قصيرة استدعاهم المستشار الأول إلى القصر منبأً إياهم بما حدث دون تفصيل كثير..

وفي القاعة، وجدوا مانيم مسترخياً على العرش والمستشار جالس في جانب المكان بوجه شاحب.. ولما اجتمع الوزراء قال أرفعهم مكانة "ما هذا الذي سمعناه أيها المستشار؟"

قال مانيم مقاطعاً المستشار الذي حاول شرح الأمر "هو ما سمعتموه.. لقد قمت بعزل بي ناريا لعدم أهليتها لتولي الحكم، ونصبت نفسي ملكاً فأنا الوريث الطبيعي بعد الملك الراحل حسب ترتيب الولاية.."

اتسعت أعين الوزراء دهشة وآخر يقول "لكن بأي حق؟"

أجاب مانيم ضاحكاً "بحق الخديعة التي أعمانا بها الملك الراحل.. بإحضاره فتاة من حثالة البشر وتنصيبها على العرش مدعياً أنها من السلالة الملكية.."

تناول كبير الوزراء من المستشار الورقة التي تحمل العقد بين الملك الراحل والمدعو رافل مينار، والد بي ناريا الحقيقي.. بينما أضاف مانيم "أنا لم أستدعكم إلى هنا لنيل رضاكم.. من لا يعجبه الوضع فليقدم استقالته على الفور.. لكنني جئت بكم لأعرف من سيوالييني ومن سيعاديني.. ولا أعتقد أن معاداتي ستكون في مصلحة أحد.."

تبادل الوزراء النظرات الصامتة لدقائق طويلة ومانيم يتأملهم بابتسامة، ثم قال كبير الوزراء "لا يمكننا إغفال الحقائق التي بين أيدينا.. كون بي ناريا من عامة الشعب يحرمها من تولي العرش قطعاً.. لذلك فنحن مع الوريث الشرعي للعرش.."

فقال مانيم بحزم "إذن.. أدلوا بقسم الولاء والطاعة حالاً كي ننتهي من هذه المسألة.."

نظر الوزراء إلى بعضهم البعض بشيء من التردد، ثم تقدم كبير الوزراء من مانيم الذي لم يتحرك من عرشه، وركع عند قدميه ممسكاً يد مانيم اليمنى بيديه وقال محنياً رأسه "أقسم بالولاء والطاعة للملك مانيم.. ولاءً دائماً مخلصاً لا يتغير ولا يتبدل.. مطيعاً لأوامره ومحافظاً على سلامة وأمن المملكة.. فلتحيا مملكة البلور.."

وتنحى جانباً ليدلي بقية الوزراء بقسم الولاء واحداً تلو الآخر والمستشار يراقبهم مخفياً ضيقه.. كان يود أن يرى منهم اعتراضاً لما يحدث.. لكن استسلامهم السريع جعله يدرك مدى تمسكهم بمناصبهم وخوفهم من

غضبة مانيم.. صحيح أنه يبدو مثلهم باستسلامه وبقاءه في منصبه، لكنه على الأقل يأمل في أن يكون وجوده ذا فائدة لبي ناريا، ولا يستطيع المغادرة قبل أن يطمئن عليها وعلى سلامتها وسلامة الملكة الأم.. تنهد المستشار غارقاً في أفكاره قبل أن ينتبه على صوت مانيم وهو يهتف "الآن.. جهزوا مراسم تنصيب الملك الجديد.. الملك الحقيقي.."

أحنى الجميع رؤوسهم وغادروا القاعة ومانيم مسترخ في العرش وهو يقول لنفسه "الملك مانيم.. لقب يناسبني بالتأكيد.."

\*\*\*\*\*

كانت مراسم تنصيب مانيم قد تمت في اليوم ذاته على عجلة، وإن اهتم مانيم بجعلها على أكبر قدر من الفخامة وكأنه يباري بي ناريا ويحاول إثبات أن حفلته الأكثر بهاءً وجمالاً بشكل طفولي.. ولم يتغيب عن حفلته أحد من الوزراء والنبل والعائلة المالكة.. وهم بين مستنكر ومسرور ومتشفٍ لما حدث لبي ناريا، لم يتغيب إلا الملكة الأم التي رفضت القدوم، ولم يهتم بأمرها مانيم كثيراً.. ومن رأى التنصيب، لاحظ أن مانيم كان أكثر زهواً وهو يضع تاج الملكة على رأسه ويرتدي ثياباً تم اختيارها بعناية يعلوها معطف أسود مخملي فخم المنظر.. وتبدت في عينيه للناظر إليه عن قرب نظرة تشف وتحدٍ، وكأنه يتحدى من يعترض ولو في دخيلة نفسه على توليه للحكم..

وبعد انقضاء المراسم، وفيما الملك الجديد في طريقه عائداً لجناح الملك الذي استولى عليه ضارباً عرض الحائط بما أمرت به بي ناريا سابقاً من إبقاء الجناح خالياً، قابل مارلا التي وقفت قريباً من باب الجناح بأبهى حلة بعد الاحتفال الكبير.. فاقترب منها بابتسامة ساخرة وهو يقول "مرحباً بفتاتي العزيزة.. يبدو أنك انتظرتني لفترة طويلة.."

نظرت مارلا للحاشية خلف الملك مغممة وهي تنحني "مولاي.. لقد أردت التحدث إليك في أمر مهم.."

صرف مانيم حاشيته بإشارة من يده، ثم وضع يده على كتف مارلا قائلاً "حسناً.. ما هو هذا الأمر؟ غداً سيكون يومي حافلاً ولست بمزاج للسهر على أمر تافه.."

قالت مارلا وهي في دهشة من تعامله لها بهزء "حبيبي.. هل نسيت وعدك لي؟"

هدر مانيم "مولاي.."

أجفلت وهي تنظر له بذعر، فابتسم وهو يداعب أنفها قائلاً "أنت لا تخاطبينني إلا بهذا اللقب.. هذا إن أردت بقاء لسانك في حلقك مدة أطول"

اتسعت عيناها بذعر أشد وهو يصرفها بإشارة من يده قائلاً "أما عن ذلك الوعد التافه، فانسيه تماماً.. هذا إن كنت تطمحين للبقاء في هذه المكانة أنت ووالدك القيم على الخزائن.. فكما تعلمين العديد من الطامحين للاستيلاء على هذا المنصب ينتظرون إشارة من يدي.."

شحب وجهها وهي تقلّب التحذير في عقلها لثوان، قبل أن تنحني بعجلة وتركض مبتعدة ودموعها تجري على خديها.. أما مانيم فقد دلف جناحه وهو يغمم "يا لتفاهة هاته الفتيات.."

وفي اليوم التالي، اجتمع مانيم بالمستشار والوزراء، وكان أول ما قاله هو "في البدء، أعلمكم بأنني سأرفع منصب مردين إلى منصب كبير الوزراء.. وسيبدأ سريان هذه الترقية منذ هذه الجلسة.."

على الاستنكار وجوه الجميع وهم يتطلعون إلى عم مانيم الذي ابتسم ابتسامة متشفية وهو يتأملهم، وهبّ كبير الوزراء السابق معترضاً "لكن مولاي.. لا يمكنك فعل هذا دون سبب.. وأنا.."

ضرب مانيم الطاولة بقبضته صائحاً "لا يمكنني؟ من يقول هذا؟"

صمت كبير الوزراء بمضض، لكن مانيم استمر قائلاً بحدة "إن كان هناك سبب لترقية مردين، فهو خلو منصب كبير الوزراء من شخص يستحق، واستقالة الوزير السابق لأسباب خاصة"

اتسعت عينا كبير الوزراء وهو يتلعثم قائلاً "م.. مولاي.. أنا لم.."

قال مانيم بحزم "استقالتك مقبولة أيها الوزير"

احتقن وجه كبير الوزراء وهو يلقي بنظرة على وجه مردين الساخر، بينما عجز الآخرون عن التفوه بكلمة خوفاً من أن يصيبهم الأمر ذاته.. وبعد لحظات تردد، انحنى كبير الوزراء لمانيم انحناء سريعة قبل أن يغادر القاعة بصمت وذلة..

أما مانيم فقد استرخى في كرسيه قائلاً "هل يشك أحد بأنني لا أقدر على شيء مما أريده؟"

أطرق الجميع برؤوسهم والمستشار متعجب في سره مما يراه.. فمانيم لا يهتم لقول أحد ولا لأي اعتراض قد يجابهه، فما الذي سيحدث للمملكة في حكمه يا ترى؟ كان هذا سبب آخر يدعو المستشار لأن يبقى في منصبه الذي بات يكرهه، أملاً في أن يستطيع تغيير بعض قرارات مانيم الظالمة..

بعدما انفضّ المجلس، خرج الوزراء من قاعة العرش تاركين مانيم والمستشار وحيدين.. وبينما كان مانيم يمهر قراراته الجديدة بتوقيعه، كان المستشار ينظر إليه جانبياً بتردد، فقال مانيم بحدة "ما الأمر؟ لو كان لديك شيء تقولهُ أسرع به قبل أن تذوق غضبي"

قال المستشار بتردد "مولاي.. ما الذي تنوي فعله بـ.. ببني ناريا؟"

قال مانيم مفكراً "لا أدري.. أيكفي سجنها مدى الحياة؟"

قال المستشار محاولاً إقناعه "ما رأيك بنفيها أيها الملك؟ أرسلها إلى إقليم من أقاليمنا النائبة وضع عليها حجراً دائماً على السفر.. لا يوجد داعٍ لاحتجازها أكثر من هذا بعد أن وثقت ملكك.."

قال مانيم بهزء "أنفيها؟ أظنني مجنوناً لأطلقها؟ ستعود لتطبق بأسنانها على رقبتني وأنا غافل.."

قال المستشار محاولاً تخفيف الأمر "لا يمكن هذا يا مولاي.. إنها لا تستطيع فعل شيء ضدك بعد أن أثبت أحقيتك بالملك منها.. المملكة كلها ستعلم بأمرها في الأيام القادمة ولن تقدر على العودة إلى العرش مهما حاولت"

غمغم مانيم "ليس بي ناريا.. أتوقع هذا من الجميع إلا منها.. هذه فتاة لا تستسلم بسهولة.."

ثم قال وهو ينظر جانبياً إلى المستشار "ما رأيك؟ هل سيعترض الوزراء إذا أصدرت أمراً بإعدامها؟" نظر المستشار إليه بهلع وقال بصوت مرتجف "إعدام؟ لم يا مولاي؟ الأمر لا يستحق.. يكفيها النفي مع التهديد بال.."

قال مانيم دون أن يلقي بالاً لما يقوله المستشار "ولماذا عليّ أن أهتم بما يقوله الوزراء؟ أنا الملك.. وما أقوله أنا هو القانون.."

ثم أشار للمستشار قائلاً "هل جهزت المراسيم التي طلبتها منك؟" قال المستشار بتردد "وماذا عن بي ناريا يا مولاي؟"

لوح مانيم بيده وهو يتوجه للعرش "سيأتي وقتها لاحقاً.. لن أتخلص منها قبل أن أنتهي من تثبيت عرشي.. سيكون حدث إعدام الملكة المزيفة مدوياً، ولا أريده أن يغطي على جلوسي على العرش" غرق المستشار في التفكير العميق وهو يناول المراسيم إلى مانيم بألية ويستمع إلى تعليقاته بغير انتباه.. ظل على هذا الحال لمدة ليست بالقصيرة.. ولما انتهى مانيم مما بيده انتبه إلى شروده، فقال بشيء من الاتهام "ما الأمر أيها المستشار.. ما الذي يشغل عقلك عني؟ هل ينازعك الولاء لملكك المزيفة؟" هتف المستشار "لا.. لا يا مولاي.. أنا عبد مأمور.. ليس لي ولاء حقيقي لأي حاكم مادام عملي مستمراً وراتبي يصرف لي كل شهر.."

ظل مانيم يحدجه بنظرة متشككة فأضاف المستشار بابتسامة ضعيفة "أنا مستشار الملك.. ولست مستشار بي ناريا.. أنا مع الملك الجالس على العرش أياً من كان" فقال مانيم "إذاً ما الذي يشغل بالك؟"

هرب المستشار ببصره بعيداً وهو يغمغم "لا شيء يا مولاي.. أفكر في الملكة الأم وما قد تقاسيه من حزن على وحيدتها"

صاح مانيم "أما زلت تصدق هذا الهراء؟ الملكة الأم لم تنجب أبداً.. وبي ناريا ليست ابنتها بحال من الأحوال.."

قال المستشار مطرقاً "ومع ذلك.. فقد ربتها منذ المهد، ولابد أنها تعتبرها كابنتها.."

قال مانيم بهزة "وهل تركت مشاكل الملكة كلها لتفكر في أحزان امرأة؟ هناك أمور أهم علينا التفكير بها لنضمن أن تبقى الملكة موحدة وموالية لي.. فدع عنك تلك التفاهات.."

غمغم المستشار بخفوت "أمرك مولاي.."

لكنه في الواقع، كان يفكر بطريقة لإبلاغ الملكة الأم بما ينتويه مانيم.. دون أن ينثر الشبهات حوله أو يجذب الأعين التي تراقب كل شاردة وواردة تحدث في القصر..

\*\*\*\*\*

رفعت بي ناريا وجهها عن ركبتها وقد أغرقته الدموع التي جفت تاركة خلفها خطوطاً عريضة.. كم من الوقت مضى عليها وهي تبكي حتى تغيب عن الوعي فتستيقظ بعدها متمنية لو أن كل هذا كان كابوساً مر عليها في نومها؟..

لكن الغرفة الباردة المظلمة والسرير القاسي ينبأها عن حقيقة واقعها قبل حتى أن تفتح عينيها.. رمت بوجهها على ركبتها من جديد وهي لا تجد شيئاً أفضل لتفعله.. يجب أن تخرج من هنا.. يجب أن تتبين حقيقة ما جرى.. لم يكن لديها شخص تستوثق منه عن الحقيقة إلا والدتها الملكة الأم، فهي الوحيدة التي يمكنها أن تثبت أن بي ناريا ابنتها.. نعم، فلا يمكن أن تكون ادعاءات مانيم حقيقية.. لا يمكن لها أن تكون متبناه.. لا شيء يثبت هذا، لا جمالها الذي لا يليق بذلك الرجل القبيح الذي يدّعي أنه أباه، ولا الحب الذي غمرها به الملك طوال تلك السنين، ولا حقيقة أنه نصّب بها ولية على عرشه وما كان ليفعل ذلك لو أنها ليست من صلبه..

ظلت بي ناريا تدير تلك الأفكار في رأسها وتحاول تهدئة نفسها، مقتنعة أن الحقيقة ستظهر قريباً، وستعود بعدها للعرش من جديد وتأمّر من فورها بقتل مانيم.. فهذا هو الجزء الوحيد الذي يستحقه.. لا يمكنها أن تأمن جانبه بعد الآن.. وقتله هو أضمن لسلامة وأمن المملكة..

لم تكد تفكر بمانيم، حتى تراءى لها وجهه أمامها.. حدقت به قليلاً بعدم استيعاب، حتى سمعت صوته يقول بسخرية "ما أجمل هذا المنظر.. لم أكن أحلم برويته في حياتي.."

استوعبت بي ناريا في تلك اللحظة أنه أمامها بالفعل وقد دخل الزنزانة ليقف وسطها متباهياً بملابسه الملكية الباذخة والتاج على رأسه، ونظرة هازئة في عينيها.. هبّت بي ناريا واقفة واندفعت تجاهه بغيظ رافعة يدها لتصفعه على وجهه.. لكنه أمسك يدها بسهولة وقال بسخرية "حقاً أنت تهينيني.. أظنن أن فتاة ضعيفة مثلك يمكن أن تتعدّى علي وأصمت؟"

ودفعها بقوة لتسقط أرضاً مرتطمة بالسرير الذي أصاب ظهرها بالآلام مبرحة.. أما مانيم فقد خطا خطوتين في الزنزانة الحقيرة قائلاً "من كان يظن أن بي ناريا بكل كبريائها وغرورها يمكن أن تنتهي هنا؟ حقاً لقد خدعتنا جميعاً بتكبرك على الجميع، ولم يعلم أحدا أنك وضيفة الأصل لهذه الدرجة.."

قالت بي ناريا بغيظ "ما الذي ترجوه من هذه السخرية أيها الحقير؟ أعتقد أن بقائي هنا سيطول؟ سأخرج قريباً، ما إن يكتشف الجميع خدعتك.. وسأرمي برأسك هذا من فوق سور القصر ليكون عبرة للآخرين.."

ضحك مانيم بصوت عالٍ وقال "حقاً؟ ألا تعلمين أن جميع الوزراء قد أقسموا بالطاعة لي وأولهم مستشارك الخاص؟ جميع الجنود قد سلموا أمرهم لي.. لم يبق إلا أن يقسم ولاة الأقاليم لي بالطاعة لكي أكون ملكاً فعلياً على الكوكب كله.. فمن الذي سيعصي أوامري ويخرجك من هنا؟ أنت تحلمين.."

ظلت بي ناريا تنظر إليه ذاهلة، فأضاف مانيم بسخرية "اقبعي في جحر هذا واملئي عقلك بالأوهام.. فهذا أفضل ما تتسلين به حتى أصدر حكمي عليك.. وانسي أمر زواجك بي، فهذا مما لا يليق بي.."

صاحت بي ناريا وهي تراه يغادر "أكنت تكذب عليّ كل تلك السنين؟ أكنت تخدعني وأنت تقسم بالطاعة لي؟ وأنت تقسم على حبي؟ لماذا تفعل هذا وأنا لم أسيء إليك بشيء؟"

قال مانيم ملقياً بنظرة حادة عليها "لم تسيئي إلي؟ يكفي استيلائك على عرشي لكي أكرهك.. يكفي معاملتك الدونية لي وكأنني لا أستحقك لكي أعمل على الإطاحة بك.. أنا الملك، وأنت لا شيء.. لا شيء.." وغادر تاركاً إياها ترتجف والصدمة تملأها.. هل خسرت كل شيء بهذه السهولة حقاً؟..

\*\*\*\*\*

سار المستشار بخطوات متعجلة في ممرات القصر وعقله يعمل باستمرار.. كان يودّ مقابلة الملكة وتحذيرها مما يتهدد بي ناريا.. لكن هذا مستحيل.. لن يمرّ الأمر من مسامح مانيم أبداً وسيتهمه بالخيانة.. استمر في سيره وهو عاجز عن اتخاذ قرار عندما رأى وصيفة الملكة جوين تسير وهي تتهاشم مع إحدى الوصيفات حاملة إبريقاً مليئاً بالشراب.. عندها اتجه إليها فوراً ملاحظاً انشغالها حتى اصطدمت به لينسكب ما في الإبريق على ثيابه الغالية بشكل شهقت له وهي تصيح "مولاي المستشار.. أنا آسفة حقاً.. لم انتبه لقدومك.."

فوجئت بالمستشار المعروف بهدوئه ينفجر غضباً "ما الذي فعلته؟ لقد أفسدت ملابسني تماماً.. أيتها البلهاء، أين تظنين نفسك تسيرين؟"

بهتت لصراخه وهي تقول مرتجفة "آسفة يا مولاي.. سأطلب من أحدهم أن يحضر لك ثوباً نظيفاً في الحال.."

قال بشدة "بل تأتيني به أنت.. سأنتظرك في غرفة المستشار.. وإن تأخرت أكثر من عشر دقائق فالويل لك.."

الملك ينتظر مني أوراقاً مهمة ولا يمكن أن أدخل عليه بهذه الصورة"

أحنت رأسها مذعنة وأسرعت لتنفيذ أمره بينما تولت الوصيفة الأخرى تنظيف المكان وحمل الإبريق.. وبعد دقائق، طرقت جوين باب غرفة المستشار، ودلفت حاملة ثوباً جديداً والقلق على وجهها مغممة "ها هو الثوب يا مولاي.. أرجو أن تغفر لي ما حدث.. وألا يصل خبر هذا إلى مولاتي الملكة.."

أمرها قائلاً "أغلقي الباب وتعالين.."

نظرت إليه بتوجس قبل أن تطيعه بصمت.. ففوجئت به يقترب من الباب المغلق منصتاً لثوان، قبل أن يعود إليها قائلاً بصوت أكثر خفوتاً من المعتاد "اسمعي.. لقد تعمدت ما حدث قبل قليل لأنني أريدك أن تكوني رسولاً بيني وبين الملكة.. فأياك وإياك كشف أي شيء مما سيدور هنا.. حتى لنفسك.."

تطلعت إليه بدهشة مغممة "ما الأمر؟ هل تخشى من الجواسيس؟"

قطّب ونظر إليها للمرة الأولى منذ دخولها قائلاً "كوني جادة فلا مجال للتأخير.. إنه يتعلق بحياة ملكتك السابقة"

هتفت بدهشة "بي ناريا؟"

أشار لها لتخفض صوتها هامساً "أجل.. أجل.. أجل أيتها الحمقاء.. لن يُسقطنا في مصيبة إلا تصرفاتك الخرقاء"

نظرت إليه بتشكك قائلة "لماذا افتعلت هذا الحادث بهذه الطريقة وأمام الكل؟ القصر كله يعلم بأمر قدومي إليك"



قال زافراً "أعلم أن هذا الأمر لن يجهل به أحد في القصر.. لكن كلما كان الأمر مكشوفاً أكثر كلما صدَّعُ الشك فينا أكثر.. أنا لا أغادر القصر بتاتاً، ولو لجأت لمقابلتك خارج القصر فهذا سيثير الشكوك أكثر ونقع تحت طائلة أعمالنا"

قالت بشك أكبر "ولماذا أنا بالذات؟"

أجابها بشيء من العصبية "لأنني أعلم أن الملكة الأم تنثق بك.. لذلك لا أقدر إلا أن أثق بك..". ثم تلفت حوله مجدداً وهو يشير لها لتجلس، ولما فعلت قال لها هامساً "إياك والصراخ لما سأقوله.. مانيم قرر إعدام الملكة بي ناريا"

شبهت جوين بذعر ثم سارعت لتغطية فمها بيدها إزاء نظرة التهديد من المستشار.. ثم همست "لكن.. مولاتي الملكة ستموت من الحزن والحسرة إن علمت.. يكفي أن صحتها قد ساءت منذ موت الملك وانتهاءً بعزل بي ناريا.. وبي ناريا... رغم قسوتها فهي لا تستحق هذا المصير البشع من مانيم.."

فقال المستشار "لذلك حرصت لإبلاغك حتى توصلي الخبر إلى الملكة الأم.. أنا ليس بيدي أمر تغيير مصير بي ناريا.. لكن ربما تملك الملكة الأم حيلة تنقذ بها حياتها"

صمتت جوين والمستشار ينبهها قائلاً "إياك وأن يتسرب هذا الأمر لأي كان خلاف الملكة الأم.. لو وصل الأمر إلى مانيم فرقابنا ستطير في ثانية واحدة"

ثم أخرج قارورة صغيرة بها سائل شفاف من بين ثيابه قائلاً "هذا مخدر قوي وسريع المفعول.. استطعت الحصول عليه من العقاقير الخاصة بالقصر دون أن يشك بي أحد.. أوصليه للملكة الأم وهي ستعرف كيف تستخدمه"

تساءلت جوين "وماذا سيحدث لو عرف مانيم بهذا؟"

قال المستشار "هذه ستكون نهايتنا جميعاً.."

وأشار لها لتخرج، فسارعت تخبئ القارورة بين ثيابها جيداً، ثم خرجت مسرعة إلى القسم الخاص بالوصيفات.. لم ترغب بالتوجه مباشرة إلى الملكة كي لا يربط أحد بين مقابلتها للمستشار وبين هروب بي ناريا إن أفلحوا في تهريبها..

وبعد عدة ساعات أرسلت الملكة الأم في طلب جوين.. وما إن دخلت جوين جناحها حتى هتفت الملكة في وجهها "أين كنت اليوم؟ لقد طلبت منك إحضار بعض الشراب لي، لأفاجأ بأنك لم تعودي رغم انتظاري ويتناهى لعلمي أنك قد سكبت على المستشار بخرقك المعتاد؟"

نظرت جوين جانبياً إلى الوصيفات اللواتي يخدمن الملكة ويصرن السمع لما يدار مغممة "مولاتي.. هل لي بحديث خاص معك؟"

صرفت الملكة الوصيفات بسرعة، وتأكدت جوين أن الجناح خالٍ تماماً، ثم أسرعت إلى الملكة وهمست لها "مولاتي.. لقد أنبأني المستشار بخبر رهيب.. مانيم ينوي إعدام مولاتي بي ناريا"

توقعت جوين أن يغشى على الملكة الأم من الصدمة، لكنها وجدتها تصمت مفكرة والغضب يبدو على ملامحها

الناعمة.. فسألته جوين "ألم يصدك الخبر يا مولاتي؟"  
قالت الملكة بغيظ "يصدمني؟ لم أتوقع أقل من هذا من شخص دنيء كمانيم.. منذ كبر هذا الفتى وبدأ يفهم  
خبايا القصر بدأت أرى في عينيه المكر والخبث.. وكلما كبر كلما كبرت شهوة الحكم في عينيه.. رأيت هذا  
بوضوح بينما عمي الملك السابق وبي ناريا عن هذا بكلامه المعسول وإخلاصه الزائف.."  
ونهضت زافرة وهي تراقب المدينة الهادئة مع حلول المغيب من نافذة جناحها قائلة "توقعت أكثر من هذا منه..  
وما فتئت أبحث عن حل لأنقاذ بي ناريا منه.. لكن فيمن أثق؟"  
اقتربت جوين منها هامسة "ثقي بي يا مولاتي.. فرغم قسوة بي ناريا معي لكني لن أنسى تنازلها وحضورها  
شخصياً لإعادتي للعمل في القصر"  
لم ترغب الملكة الأم بقول إن هذا كان بأمر حازم من الملك وجوين تضيف "سأساعدك بما في استطاعتي لتهدئ  
بي ناريا.. ولهذا أعطاني المستشار هذا"  
وأخرجت القارورة من طيات ثيابها وناولتها للملكة قائلة "هذا مخدر سريع المفعول.. يمكننا ترتيب خطة لتخدير  
الحراس وتهريب بي ناريا من السجن.. لكن كيف نخرجها من القصر؟ وأين ستذهب بعد هذا؟"  
تأملت الملكة القارورة قليلاً، ثم سارعت لإخفائها في خزانة و بين ملابسها قائلة "اذهبي الآن يا جوين.. أريد  
التخطيط للأمر في ذهني.. هذه عملية خطيرة ولن يمكننا التراجع متى ما بدأنا"  
ثم أمسكت بيديها قائلة "مادمت ستعاوينني، أريدك أن تبحثي عن حارس ثقة يمكن أن اطمئن لأمانته.. لن  
يمكننا أنت وأنا وحدنا إنجاح الأمر دون مساعدة أحد الحراس"  
قالت جوين "اطمئني يا مولاتي.. أعرف بالضبط من يمكننا الوثوق به"  
فقالت الملكة "اءتني به في غفلة من الجميع.. يجب أن أتأكد من إخلاصه لبي ناريا قبل أن أكشف له  
مخططنا.."

\*\*\*\*\*

ظلت بي ناريا مستلقية على السرير في سجنها وهي تتطلع إلى السقف بهدوء ظاهر بينما داخلها يغلي  
كمرجل ثائر.. لقد مرَّ يومان منذ قدومها إلى هنا ولا تدري إلّام انتهت حال المدينة في هذه الفترة القصيرة.. لم  
تستسلم إلى حالها المزري لكنها لا تدري ما الذي يمكنها فعله في سجن محكم كهذا.. لقد تربّت على الدعة  
وعلى إخلاص من حولها.. لا تعرف كيف تحيك الدسائس ولا تقدر على التخطيط للهروب من مانيم وسجنه..  
سمعت صوت خطوات تتقدم من الزنزانة وحديث يدور بين الحراس، فعلمت أن وقت تبديل الحراسة سيتم في  
هذه اللحظة.. زفرت بحدة وهي تجلس وترفع بصرها إلى النافذة الصغيرة جداً بحجم كرة متوسطة والتي تقع  
في أعلى منطقة من حائط السجن.. كانت تود لو ترى من خلالها.. لو تشاهد سماء يناسًا التي افتقدتها من  
ضمن الأشياء التي سلبها إياها مانيم.. نهضت فجأة بتصميم وحاولت دفع السرير الحديدي رغم صوته المزعج

حتى أوصلته للحائط الذي يحوي النافذة.. ثم صعدت فوق السرير ووقفت على أطراف أصابعها حتى أفلحت بالإمساك بإطار النافذة بعد أن مدت يدها بطولها.. لكنها لم تغلق في الوصول إلى مستوى النافذة ولم ترَ إلا جانباً من السماء المظلمة التي تفتershها النجوم المتناثرة..

في تلك اللحظة فتح باب الزنزانة بشيء من الهدوء وهي تسمع همساً يقول "مولاتي.. هل أنت نائمة؟" نزلت من السرير وهي تغمض عينيها اتقاء للنور الداخل من الباب، ولما فتحتها رأت جوين تقترب منها بسرعة هامسة "مولاتي.. أرجوك لنسرع.. يجب أن نهرب قبل أن يقترب أحد الحراس من هنا" عقدت الدهشة لسان بي ناريا.. ثم قالت وهي تسرع إلى الباب "كيف دخلت إلى هنا؟" قبل أن تجيبها جوين رأت الحارس المكلف بحراستها يغط في النوم وشخيره يتعالى.. فيما سارعت جوين لإغلاق الزنزانة وقفلها ومن ثم إعادة المفتاح إلى السلسلة المدلاة من ثياب الحارس بهدوء محاذرة أن توقظه.. ثم جذبت بي ناريا من يدها قائلة "من هنا يا مولاتي.."

لم تعلق بي ناريا على إمساك جوين ليدها وهي تجري خلفها في الممر الخافت الإنارة قبل أن تسرع جوين إلى أحد الأعمدة المنتشرة في المكان ولا يختلف منظره عن غيره، فتناولت من جيبها قلادة عادية تتوسطها بلورة وردية اللون، وتبدو القلادة قديمة جداً مع تغير لون المعدن حولها في عدة أماكن، فرفعت جوين البلورة مواجهة العمود لثوان قبل أن ترى بي ناريا نوراً خفيفاً التمع في بقعة معينة من العمود.. عندها أزيح جزء من الحائط جانباً مظهراً فتحة تسمح بمرور شخص واحد.. فدفعت جوين بي ناريا إلى داخله وتبعته ثم أغلقت الباب من الداخل بنفس طريقة فتحه ليعود الحائط كما كان دون أن يصدر صوتاً يذكر..

عندما اطمأنت بي ناريا إلى ابتعادهما عن الحراس قالت لجوين وهي تتلفت في الممر المظلم بدهشة "أين نحن الآن؟ كيف استدلت على مكان كهذا؟"

قالت جوين وهي تضيء مصباحاً في يدها "الملكة الأم دلتني على هذا الطريق السري.. يبدو أن القلعة تحوي مئات الممرات السرية التي لا يعلم أحد عنها شيئاً إلا الملك والملكة.. وهذه القلادة المتوارثة منذ الملك الأول هي المفتاح الوحيد لفتح البوابة.."

وسارعت في الطريق الذي حفظته عن ظهر قلب وبي ناريا تتبعها مغفمة "الكني الملكة ولم أعلم عن هذا شيئاً" لم تعلق جوين وهي تسير معها في طرقات مختلفة متفرعة، حتى وصلوا إلى جدار يقف بين عمودين.. فسارعت جوين بالضغط على نتوء بارز على الجدار ليفتح بسلاسة.. فتساءلت بي ناريا "لماذا لم تستخدمي القلادة؟" قالت جوين مفسرة "يبدو أن الممرات صممت بحيث لا يفتحها من الخارج إلا من يملك القلادة، لكن من الداخل يمكن فتحها بدونها تحسباً لضياح القلادة الوحيدة ولكي لا يجد الملك نفسها محبوساً فيها بلا نجدة.."

زاد تعجب بي ناريا وجوين تسبقها في الخروج، ولما خرجت بي ناريا خلفها وجدت أنها في جناح الملكة الأم، وصاحبة الجناح كانت واقفة قرب الباب تفرك يديها بتوتر..

ما إن رأت بي ناريا أمها تناهبتها عشرات المشاعر المختلفة، فظلت في مكانها متجمدة.. أتناديها أمي؟ أم ماذا تسميها؟.. هل تغفر لها كذبها طوال تلك السنين؟ أم تشكرها على حسن رعايتها لها؟ ظلت حائرة حتى وجدت

الملكة الأم تهبّ إليها فتحتضنها بقوة وهي تبكي قائلة "بي ناريا.. يا ابنتي العزيزة.. لقد هزلت وشحب وجهك.. تباً لك يا مانيم"

بكت بي ناريا وقد أثر فيها بكاء أمها.. بكت غير عابئة بمن حولها ربما للمرة الأولى منذ سنين.. منذ وعى عقلها لم تبك على شيء في حياتها إلا بكاءها على موت الملك وحيدة في غرفتها، وعلى نفسها وحيدة في سجنها.. ولم تعترف بالبكاء إلا كضعف لا يليق بها.. أما الآن.. فقد جاشت مشاعرها منقّسة عن صدمتها.. عن فقيدتها.. ولم يكن العرش فقط هو ما فقدته.. بل فقدت أمها وأبيها.. فقدت ذكرياتها وتاريخها المزيف.. بكت وبكت وهي تضم أمها بقوة هامسة بتكرار لا يمل "لماذا؟... لماذا؟... لماذا؟..."

تركتهما جوين يفرغان مشاعرهما وأسرعت إلى باب الجناح تراقب خشية قدوم أحد وانكشاف أمر بي ناريا.. بينما دفعت الملكة بي ناريا عنها بخفة قائلة "انظري كيف أصبحت.. من كان يصدق أن يحدث كل هذا بتلك السرعة؟"

قالت بي ناريا متشككة وهي تمسح دموعها "هل كل ما قاله مانيم صحيح؟ هل حقاً لست ابنتك الحقيقية؟" خفضت الملكة الأم وجهها قائلة "للأسف.. هذا صحيح.."

فتساءلت بي ناريا ونظرة لوم تتبدى في عينيها "لماذا يا أمي؟ لماذا فعلتم هذا بي؟ لماذا زيفتم ذكرياتي كما زيفتم أوراقتي؟"

قالت الملكة الأم بآلم "لم نفعل هذا عمداً.. كل ما أردناه هو ابنة لنا.. نحبا ونرعاها وتعوضنا عن الحرمان الذي لم يكن بيدنا.. لكن لشدة ما أحببناك أردناك أن تكوني ابنة حقيقية.. أن ترثي عرش أبيك ومكانته.. ولم يدر بخلدنا أن أحداً سينبش الأمر بعد كل تلك السنين"

قالت بي ناريا بحزم "أريد أن أعرف كل شيء بالتفصيل.."

دفعتها الملكة لتجلس في ركن الجناح حيث وجدت بي ناريا ثياباً بدت لها رثة وأغراضاً كثيرة ملقاة حولها.. والملكة تقول "فلنبداً في المهم.. ستعمل جوين على إعطائك شكلاً مختلفاً لتضليل الحراس ومانيم حتى نستطيع تهريبك.. وفي هذا الوقت سأخبرك بما تريدين معرفته"

قالت بي ناريا بانفعال وهي تقف "تهريبي؟ لماذا؟ لا يمكنني الرحيل الآن.. يجب أن أستعيد عرشي.. يجب أن أنتقم من مانيم.."

قالت الملكة الأم بقلق "الانتقام؟ لا يا بي ناريا.. انسي مانيم وانسي العرش وانسي المملكة كلها.. سأعمل على تهريبك من مانيم.. عيشي حياتك بحرية بعيداً عن قيود العرش ودسائسه.. عودي لكونك فتاة وانسي كونك ملكة" قالت بي ناريا بثورة "محال.. لن أغفر لمانيم كذبه، ولن أسلم العرش إليه بطيب خاطر.. سأذيقه المرّ قبل أن أقتله شرّ قتلة.. وسترين"

قالت الملكة بغضب "أرى ماذا؟ تريدينني أن أصمت وأنا أراك تلقين نفسك في براثن مانيم؟ إن حاولت النيل منه فسيجد حجة جاهزة ليقطعك دون محاكمة أو مشاوره.. انسي كل هذا وفرّي بنفسك.. لدي جندي ثقة سيقوم بنقلك في إحدى الطائرات إلى إقليم سربين.. وهو إقليم هادئ وبعيد وأشك أن مانيم سيخطر له البحث عنك

هناك.. لا تضيعي الفرصة الوحيدة التي تملكينها للنجاة.."

قالت بي ناريا باستنكار "سربين؟ لا يمكنني أن أغادر الآن.. سأهرب من القصر، لكنني سأبقى قريبة حتى أجمع جنودي حولي وأستعيد عرشي.. لا يمكنني أن أترك مانيم يستمتع بإنجازته وأهرب كالفار.."  
أمسكت الملكة كتفيها قائلة بحدة "ألا تعلمين ما أنت فيه؟ الملكة كلها مع مانيم بعد صدمتها بزييف هويتك.. الكل سارع لمباركة مانيم ونبدوك.. فهل تعتقدين أنهم سيقفون في صفك ومانيم يسيطر على الجيش؟ أفيقي وتقبلي مستقبلك بدون العرش"

هتفت بي ناريا "وما الذي سأفعله بمستقبلي؟ لقد عشت حياتي لأجل العرش أحلم به مستيقظة ونائمة.. ما المستقبل الذي تبقى لي؟ هل أتيه في الأرض بلا وجهة؟ هل أختبئ كالفار وأقضي حياتي في خوف؟"  
قالت الملكة بقوة "عيشي حياة كأي فتاة أخرى.. جدي عملاً تسترزين منه.. أحبي بصدق.. تزوجي وذوقي معنى الأمومة.. انسي القصر وبيئته الملوثة.. وعيشي في الأرض الواسعة وهواءها النقي.. بوذي لو تركت المكان كله معك.. لكنني سأكون عبئاً أكبر عليك وسينكشف أمرك أسرع بوجودي"

ظلت بي ناريا تنظر إليها والاستنكار يملؤها.. كل ما ذكرته الملكة أحلام لم تطرأ على بالها ولا ترقى لطموحاتها.. تعمل؟ تحب؟ تتزوج؟ العمل الوحيد الذي تتقبله هو الجلوس على العرش ولا شيء غيره.. أما أن تنزل من مرتبتها لتصبح من العامة، وترى مانيم يستمتع بحكم الملكة وبعرشها، فهذا ما لن يكون..  
التفت بي ناريا إلى جوين قائلة بأمر "أخرجيني من القصر.. ساوي لمنزلك بضعة أيام حتى أتمكن من ترتيب استعادتي للعرش.. وإن ساعدتني، فسأرفعك وعائلتك كلها لأعلى المراتب.."

نظرت جوين للملكة الأم بحيرة، فأشارت لها الملكة إشارة لم تفهمها بي ناريا وهي تقول "يا ابنتي.. عرفتك طوال عمرك عنيدة.. لكنك فقدت الظهر الذي كان يسندك.. فقدت الملك الوحيد الذي كان سيعطيك حباً بلا مقابل.. أما بقية من تعرفينهم، فهم يخضعون لمن يملك السلطة.. لا تتشبثي بعنادك وتفقد حياتك لأمر تافه.."  
فتحت بي ناريا فمها لترد على الملكة، لكنها فوجئت بمنديل رطب يغطي فمها وأنفها ورائحة قوية تتسلل عبره.. حاولت بي ناريا إبعاد اليد التي تمسك بالمنديل عن وجهها وهي ترى الملكة تنظر إليها بحزن قائلة "لا تنسي أنك ابنتي مهما كنت ومهما ابتعدت.. أتمنى لك السعادة بعيداً عن يناسا، وبعيداً عن البيئة المريضة التي نعيش فيها.."

تهاوى وعي بي ناريا وهي تعجز عن مقاومة جوين، حتى سقطت في غيبوبة وتهاوى جسدها أرضاً لتسارع جوين بإسنادها وهي تقول للملكة "أتظنين ما نفعله هو الأمر الصائب؟"  
قالت الملكة وهي تجلس على كرسي مغالبة انفعالها "هو أفضل ما نفعله لها.. والآن قومي بما أوصيتك به.."  
غمغمت جوين وهي تسحب بي ناريا لتضعها على الفراش القريب "أن نلقي بالملكة التي عاشت حياتها في عز ورفاهية، في بيئة غريبة وربما معادية، هذا أقسى ما قد نفعله لها.."

قالت الملكة متنهدة "أن تعيش حياة قاسية أفضل من أن تفقد هذه الحياة نهائياً.."

ساد الصمت بينهما والملكة تراقب جوين التي أمسكت شعر بي ناريا، وجذبتة لتقصه بمقص حاد، فتتناثر

خصلاته الفاحمة الطويلة على الأرض.. بينما بي ناريا غارقة في غيبوبة عميقة لا تدري ما قد يحدث لها في الساعات القادمة..

\*\*\*\*\*

نهض مانيم من نومه مستاء وهو يقول بغضب "ما الداعي لكل هذا الإزعاج الآن؟ شمس الصباح لم تشرق بعد" سمحت الوصيصة للجندي بدخول جناح الملك بإشارة من مانيم، فدلف الجندي مخطوف الأنفاس وهو يصيح "مولاي.. أسف لإزعاجك في هذه الساعة.. لكنه أمر عاجل.."

قال مانيم بحدة "ما الأمر؟ يحسن أن يستحق.."

قال الجندي "بي ناريا يا مولاي.. لقد هربت.."

اتسعت عينا مانيم وصاح "ماذا تقول؟"

قال الجندي محاولاً التغلب على توتره "لقد تبخرت من الزنزانة المغلقة.. أنا متأكد أنني لم أغادر موقعي ولم أغفل عنها بتاتاً.. كل ما هنالك.."

غلبه التردد لحظات صاح فيها مانيم بشراسة "ماذا؟ أي حمق تريد التفوه به؟"

قال الجندي ملوحاً بيده "غلبني النعاس الشديد للحظات يا مولاي.. لكنني متأكد أن أحداً لم يمر قربي في تلك الأثناء.. نومي لا يكون عميقاً عادة.. لكن لا أعرف ما حدث في تلك اللحظات.."

هَبَّ مانيم من فراشه الوثير صائحاً "أبلغ الجند جميعاً أن يبحثوا عنها.. ولمصلحتك يجب أن يجدوها الآن..". خرج الجندي لتنفيذ أمره شاحباً، فيما ارتدى مانيم رداءه الملكي وهو يغمغم بغیظ "أنا أعلم من المتسبب بهذا.. والويل لها لو أفلحت بي ناريا بالهرب.. الويل لها.."

في تلك الأثناء، وعندما بدا الاستنفار على الجنود وهو يفتشون القصر تفتيشاً دقيقاً، أسرع جوين إلى جناح الملكة الأم وأغلقت الباب خلفها بإحكام وهي تغالب توترها الشديد، فقالت لها الملكة الأم بهمس قلق "ما كل هذا الاستنفار؟ هل اكتشفوا أمر بي ناريا بهذه السرعة؟"

أومأت جوين إيجاباً وهي تهمس بدورها "الجنود يفتشون كل بقعة من القصر.. لذلك يجب أن نسرع ونخفي آثار مولاتي من هذا الجناح.. لابد أنهم سيأتون إلى هنا قريباً.."

وأسرعت إلى ما بقي من آثار بي ناريا، ملابسها التي تم استبدالها وبقياء شعرها المتناثر أرضاً، فجمعته محاذرة أن تترك أي شيء خلفها والملكة تسألها بلهفة "ماذا فعلت بيبي ناريا؟ هل....؟"

قاطعتها جوين بسرعة "لا تخافي يا مولاتي.. أمورنا سارت على ما يرام.. مولاتي الآن في طريقها إلى سربين بأمان تام.. والجندي أكد لي أنه سيحميها بحياته.."

زفرت الملكة الأم بقلق وهي ترى جوين تضع ما حملته في الممر السري بعناية قبل أن تغلق بابه وتضع أمام الباب كرسيّاً وثيراً مذهب الأطراف إمعاناً في إبعاد الأنظار عنه، وأعدت القلادة للملكة قبل أن تنشغل بترتيب

الجناح بعناية وهي تقول للملكة الأم "عودي لفراشك يا مولاتي.. الفجر قريب ولا نريد للملك أن يتساءل عن سبب بقاءك مستيقظة هذه الليلة بالذات.."

أطاعتها الملكة الأم بصمت وهي تزفر من جديد غير قادرة على إزالة قلقها.. فخبأت القلادة في مخبأ سري في الحائط قرب فراشها يبدو كجزء من نقوش الحائط البارزة، ثم استلقت في فراشها وهي منشغلة الفكر ببي ناريا.. فلتكوني بخير يا ابنتي.. وسامحيني.. فما أردت لك إلا ما هو خير لمستقبلك..

\*\*\*\*\*

عندما استيقظت بي ناريا وقد تلاشى مفعول المخدر من جسدها، فوجئت بالظلام الذي يحيط بها.. كانت جالسة في صندوق بالكاد يحتوي جسدها، ولما مدت يدها حولها وجدت أنه تم تبطينه بطبقات من قماش غليظ ليحافظ عليها من أي اهتزاز أو ارتطام قوي.. غلب الذعر بي ناريا وهي لا تعلم ما حلّ بها.. فضربت الصندوق بيدها وهي تصيح "هل من أحد هنا؟ اخرجوني الآن.."

سمعت خطوات تقترب منها مسرعة، ثم تعالى صوت رجل قرب الصندوق يقول بصوت خافت "صمتاً يا مولاتي.. قائد الطائرة والي سربين ليسا بعيدين عن مكاننا.. ولو افترض أنك فستطير رقابنا في لحظة.."

قالت بذهول "طائرة؟ أين أنا الآن؟"

أجاب الرجل "نحن في الطائرة التي تقلّ والي سربين إلى الإقليم.. لقد وضعناك بأمر الملكة الأم في صندوق ضمن الصناديق التي تحوي ممتلكات والي، وحالما نصل، سأقوم بتهريبك قبل أن يتم إفراغ الطائرة من الصناديق.. لا تخشي شيئاً يا مولاتي فقد أوصتني الملكة الأم وأنا لن أخونك أبداً.."

قالت بي ناريا بحدة "أخرجني من هنا الآن.. لا يمكن أن أذهب إلى سربين.."

سارع الرجل ليقول "أرجوك مولاتي اصبري... خروجك الآن معناه عودتك إلى السجن، هذا إن لم يأمر مانيم بقتلك فور العثور عليك.. ثقي بي، وأنا سأوصلك للأمان.."

عضّت بي ناريا شففتيها وهي تصمت بضيق.. هل هذا ما أرادته لها الملكة الأم؟ لقد سعت لتخديرها وإرسالها لسربين معارضة رغبة بي ناريا وكأن لا حق لها في تقرير مصيرها.. لماذا يعاملها الجميع كأنها بلا إرادة ولا حق في الاختيار؟..

غمرها التوتر فأمسكت خصلة من شعرها وهي تحاول التفكير في ما قد يجري لها بعد وصولهم إلى سربين، عندما فوجئت بما حلّ بشعرها وهي تتلمسه مندهشة.. كان قد أضحى قصيراً جداً لا يتجاوز كتفها.. عضّت على شففتيها بغیظ وهي ترى أن الملكة قد تخلت عنها هي الأخرى.. قد تكون تحاول الحفاظ على حياتها، لكنها لم تحاول أن تساندها في استعادة عرشها، بل رمتها إلى المجهول وكأنها تتبرأ من وجودها..

أيقنت في تلك اللحظة أنها وحيدة.. وكأن العالم قد خلا ممن قد يساندها، ممن يمكن أن توليه ثقته ولا تخشى أن يطعنها خلف ظهرها عندما تغفل عنه.. معنى هذا أنها يجب أن تستعيد عرشها بنفسها، ولا تركز لأحد

ليساندها..

وكعادتها، ورغم الغصة التي ملأت حلقها والضيق الشديد الذي يكتنفها، لم تذرف بي ناريا دمعة وهي تعضّ على أظافرها محاولة التفكير في الخطوة التالية.. ماذا بعد الخروج من هنا؟ ماذا بعد الوصول إلى سربين؟..

\*\*\*\*\*

"أين هي؟"

انتفضت الملكة الأم لدى سماعها الصراخ الهادر، لكنها حاولت الحفاظ على هدوءها وهي تجلس في فراشها تتطلع إلى مانيم الداخل إلى جناحها وقد انتفضت أوداجه من الغضب، ولما اقترب منها عاد للصراخ "أين بي ناريا؟ أنا أعرف أنك أنت من سعى لتهريبها، فالمستشار أجبن من أن يحاول هذا، والوزراء لا مصلحة لهم في ذلك مع كل العلاوات التي منحتم إياها، فلا يبقى إلا أنت"

نهضت الملكة من فراشها هاتفة "بي ناريا هربت؟ متى؟ أين ذهبت؟"

دفعها بشيء من الخشونة وهو يقول "لا داعي لكل هذا التمثيل، أنت من ساعدها ولا أحد سواك.. اعترفي خيراً من أن ألجا لأي أساليب مذلة لك"

قطبت قائلة بحزم "لا علم لي عن أي شيء، القصر كله يعلم أنني لم أغادر الجناح منذ أن استوليت على العرش.. ولست ساحرة لأفتح زنانة بي ناريا من على مبعدة بوضع كلمات سحرية"

غمغم مانيم بحلق "لكنني واثق أنها أنت.. كيف لبي ناريا التبخر من زنانة مقفلة دون أن تترك أثراً؟"

جلست الملكة على كرسي قريب بهدوء وهي تقول "لم لا تتنازل عن بي ناريا؟ ما الذي تريده منها أكثر مما فعلته؟ أنا أؤكد لك أنها قد تخلت عن فكرة العرش تماماً، فدعها تذهب حيث ذهبت ويكفيك ما حصلت عليه حتى الآن"

أطلق مانيم ضحكة ساخرة وهو يهتف "بي ناريا تنازلت عن العرش؟ أقنعي أي شخص بهذا إلا أنا.. إنها عنيدة، ولن تستسلم حتى تراني معلقاً من حبل المشنقة.."

ودار في الجناح مفكراً بصوت عالٍ "إنها ستسعى لتأليب الجموع ضدي.. ستحاول أن تجمع حولها جيشاً ممن يكرهونني ويفضلون موتي، وبهم ستسعى لاسقاطي.. لكن من؟ سكان العاصمة والإقليم كله مستسلمين للراحة والدعة ولن يتهوروا بفعل كهذا.. إذن من؟"

ظلت الملكة تنظر إليه بقلق وهو غارق في التفكير، قبل أن تفاجأ به ينفجر ضاحكاً وهو يهتف "طبعاً.. لا يوجد

أصلح من تلك الشرذمة.. لابد أنها ستلجا لهم.. حسناً يا بي ناريا، سنرى من هو الأبرع في هذه اللعبة"

وغادر الجناح متجاهلاً نظرات الملكة القلقة، والتي وضعت يداً مرتجفة على رأسها وهي تفكر.. هل هو عازم على البحث عنها؟ ولكن من المستحيل أن يكتشف أنها في طريقها لإقليم سربين.. فما الذي اكتشفه وأسعده بهذه الطريقة؟ وغرقت في صلاة حارة لسلامة بي ناريا وأمنها..



أما مانيم، فقد اختلى في جناحه الخاص بمردين الذي تم استدعائه على عجلة، وقال له وهو يدور في المكان "اسمع.. سأوكل لك مهمة خاصة وطارئة، فأنا ما عدت أثق بالمستشار.. لكن إياك ان تخذلني فيها"

قال مردين "ما الأمر العاجل الذي يستدعي التقاءنا قبل طلوع الشمس يا مانيم؟"

هدر مانيم "مولاي.. أنت لا تخاطبني إلا بمولاي.. مهما كانت صلتك بي فأنا الملك، ولا أحد يجروء على مناداتي بإسمي أبداً"

خفض مردين بصره مطيعاً، فيم قال مانيم "انتبه لما سأقوله.. بي ناريا قد هربت"

اتسعت عينا مردين بدهشة لكن مانيم قاطعه قبل أن يتفوه بكلمة "وأنا أعلم تماماً أين ذهبت ولن ستلجأ.. أريد تعاميم أن تُنشر، وجنوداً أن يُستنفروا، وجوائز توضع لمن يدلي بأي معلومة عنها.. لا أريد أن يمر عليها أكثر من نهار واحد قبل أن تعود للسجن.. عندما تصل لوجهتها، ستفاجأ بأن العامة جميعهم مجندين للقبض عليها، ولن تجد مخبأ تلجأ إليه"

قال مردين "لكن يا مولاي، لا يمكننا أن ننشر أن الملكة السابقة قد هربت، فهذا قد يغري بعض الرافضين لتوليك العرش للبحث عنها ومساعدتها للإطاحة بك"

قال مانيم مفكراً "هذا ما أتوقعه أيضاً.. إذن أنا أعرف بالضبط ما عليك كتابته في التعميم.. لكن الويل لك لو لم تبذل جهداً كافياً للامساك بها قبل أن تغرب شمس هذا النهار"

\*\*\*\*\*